



نعوم تشومسكي في كتابه: بين إرهاب أمريكا و 11 ايلول (1 من 2)

امريكا دولة ارهابية رائدة على هذا الصعيد وجرائمها تمتد من افريقيا الى آسيا وامريكا اللاتينية ما معنى تجويع أمريكا للمدنيين الأفغان.. وضرب مصنع ادوية للفقراء .. وقتل نصف مليون عراقي؟

قراءة د. سعيد بوخليط*

نشرت دار النشر «المتقى» إلى سوق القراءة والتفكير، المترجمة العربية للحوارات التي أجزاها المثقف والمفكر الأمريكي الكبير نعوم تشومسكي ، مجموعة من وسائل الإعلام الدولية Chomsky ، بخصوص زاوية في ما وقع يوم 11 ايلول (سبتمبر) بالولايات المتحدة الأمريكية، وكذا مختلف الحوادث والسياسات التي يمكن أن تساعد على تأويل موضوعي للحدث.

نعوم تشومسكي Chomsky، كما يعرف الجميع، لا يدخل في خانة المثقفين العاديين، فهو: أحد الرموز المؤسسة للدراس اللساني الحديث من خلال تطويره لنظريته في النحو التوليدي، وباحث وصين في الابستولوجيا وتاريخ العلم، ومفكر في مجموعة من القضايا الفكرية والسياسية.. ثم بين ذلك كله مناضل تقدمي، يقف إلى جانب نضالات الشعوب المستضعفة من أجل الحرية والديموقراطية. ويقف باستمرار وفي كل مناسبة، التوجهات الاستعمارية والإمبريالية للتحالف الأمريكي الصهيوني، خاصة مجال قضيتنا الفلسطينية.

تتكون من رؤية ثروات المنطقة تتدفق إلى الغرب وإلى أقلية محلية يحتضنها الغرب، من الحكام الظالمين والفاستدين». (ص 7).

إن الهجوم على أمريكا، كان من تدبير عناصر خارجية، وبالتالي ينبغي تشومسكي Chomsky هنا تواطؤ المخابرات المركزية الأمريكية CIA. كما أشارت إلى ذلك بعض التحاليل والكتابات. لكن مع ذلك، فإن مساهمتها قائمة بشكل غير مباشر، حيث عملت مع المخابرات الباكستانية والسعودية، وكذا البريطانية في تجنيد وتسليح الأصوليين المتطرفين وتعبئتهم ضد القوات الروسية في أفغانستان. وبعد انتهاء الحرب، توجه هؤلاء إلى أماكن مثل البوسنة والشيشان، وثلثوا مزيدا من الدعم الأمريكي.

بعد أحداث 11 ايلول (سبتمبر)، واشتعال الهستيريا الأمريكية، تم ألا توظيف عبارة «حرب صليبية»، لكن تبين للإدارة الأمريكية حسب تشومسكي Chomsky. بأن تسمية كذلك يمكن أن تضعف تحالفها داخل المختطات الإسلامي، لتستعمل بعد ذلك كلمة «حرب».

توظف أمريكا إذن، انطلاقا من منظور ديماجوجي تكتيكي العجم الذي تحمته طبيعة الظرفية ونوعية الموقف. لقد تعنوا أحداث الخليج العربي (1991) بـ «حرب»، أما اصطلاحهم مع الصرب فقد سموه «تدخلنا إنسانيا»: (هل كان التدخل في كوسوفو إنسانيا، حقيقة؟ ؛ من الممكن. إنها المرة الأولى التي يحصل فيها مثل هذا الأمر في التاريخ وقد أصبح أمرا واقعا محتوما (...) إن اللفظ المناسب هو «جريمة»، أو لعله «جريمة ضد الإنسانية» (ص 9).

بالنسبة لتأثير 11 ايلول (سبتمبر) على الوضع السياسي بالشرق الأوسط، وبالأخص صراع الفلسطينيين ضد الاحتلال الإسرائيلي، فإن الأمر انعكس بالتأكيد سلبا، يتصور تشومسكي Chomsky: (أن إسرائيل تشللت علنا وتنهزت Chomsky الفرصة السانحة التي قدمت لها لتسحق الفلسطينيين وتضمن سوء العاقبة. لقد دخلت الدبابات الإسرائيلية، في الأيام القليلة التي أعقبت



نعوم تشومسكي

يطرح ابن لادن أمر التفجيرات فهو يضرب على وتر حساس، حتى عند الذين يخافونه ويحتقرونه (ص 37).

إن ما وقع يوم 11 ايلول (سبتمبر) جريمة بكل أمريكا عهد إدارة كلينتون لصنع الشفاء بالسودان سنة 1998، حيث (استمشرت ضريبة الموت السودانية، جراء القصف، ترتفع يهدوء. وهذا عانى عشرات الآلاف من الناس، معظمهم من الأطفال ما تولى بسبب الماريا والسهل وغيرها من الأمراض التي يمكن معالجتها. إن مصنع «الشفاء» كان يؤمن الأدوية التي يتكتم الناس من شرائها، وجميع الأدوية البيطرية المنتجة محليا في السودان) (ص 40).

ثم يعقب سفير ألمانيا في السودان على ذلك قائلا: (المن الصعب أن يخمن المرء عدد الذين ماتوا في هذا البلد الإفريقي الفقير نتيجة صنع الشفاء. لكن يبدو أن عشرات الآلاف تخمن معقول) (ص 40). بأي لغة سيكتب التاريخ إذن ذلك؟

كان مصنع الشفاء يؤمن أدوية وحقاقير ضرورية لأمراض الماريا والسهل والأدوية البيطرية، مع العلم بأن السودان بلد رعوي واسع المساحة. وقد أكد باتريك وينتور P. Wintour، بأن هذا العمل كان يوفر 50 % من الأدوية للشعب السوداني. من هنا تظهر جسامة الإرهاب الأمريكي، بهذا الفعل حيال بلد كالسودان، بشعبه الفقير، ومن أقل الدول تنمية في العالم، إضافة إلى قسوة المناخ والظروف الطبيعية وانتشار الجفاف، حيث تنتج عن ذلك مجموعة من الأمراض الفتاكة مثل الماريا والسهل والكوليرا والحمل الدماغية. كما تعاني السودان، سياسيا من حرب داخلية عنيفة بين شماله وجنوبه. يقول تشومسكي Chomsky، بعد سرد له مجموعة من المواقف وآراء الخبراء والصحافيين بخصوص المضاعفات الخطيرة جدا إنسانيا وحقوقيا وسياسيا، جراء قصف أمريكا للمصنع السوداني: (بإمكاننا أن نثارن جريمة السودان بجريمة اغتيال لومومبا التي ساهمت باغراق الكونغو في عقود من المذابح المستمرة، كما يمكننا أن نثارها بإسقاط حكومة غواتيمالا الديموقراطية عام 1954، والتي قادت إلى أربعين عاما من الفظائع الشعبية) (ص 44).

كما لا ننسى كذلك الحصار والرعب الذي تمارسه أمريكا على بلد صغير ككوبا منذ أواخر سنة 1959.

إن قصف أمريكا للسودان، لم يجعل إلا على إغراق هذا البلد الثالثي في مزيد من الفقر والفوضى والظفر الإسلامي، وتعزيز بشكل غير مباشر للتوتاليتارية العسكرية والسياسية التي تحكمه. إنه عمل: (إرهابي كما هو تدمير البرجين، الفرق الوحيد هو أننا نعرف من دمر الصنوع، أننا نشعر بالحنن الشديد على الخسارة البشرية في نيويورك وواشنطن، أما بلغة الأعداد وقياسا للثمن بالنسبة لبلد فقير، فإن قصف السودان كان أسوأ) (ص 45).

يكتب إدريس الطيب رئيس مجلس إدارة «الشفاء»، التهمة التي ظلت توجهها أمريكا للسودان، هي احتضانها لابن لادن ودعمها لنظام القاعدة. لكن الوقائع التاريخية أكدت بأن السودان اعتقل قبل 1998 بعض المشتبهين في تفجيرات السفارات الأمريكية بإفريقيا الشرقية، وأخبرت واشنطن بذلك. لكن هذه الأخيرة لم تبال بالعرض السوداني، حيث وصف: («مصدر متقدم في CIA هذا الرفض للسودان وغيره لعروض التعاون كـ«أسوأ إخفاق مخابراتي في القضية الرهيبة» لحوادث 11 ايلول (سبتمبر)).

يقول المصدر نفسه «إنها المفتاح للقضية كلها الآن». بسبب الأدلة الكثيرة التي عرض السودان أن يقدمها، تلك الأدلة التي تكرر رفضها بسبب «كراهية الإدارة الأمريكية اللاعقلانية» للسودان (ص 46). وقد تضمن العرض السوداني معلومات مخابراتية عن ابن لادن، وبعض الأطر والعناصر القيادية لتنظيم القاعدة، إضافة إلى مصالحه المالية، بمعنى ثاب، كانت هناك إمكانية لتجنب أحداث 11 ايلول (سبتمبر). لو تخلى المسؤولون الأمريكيون عن ساديتهم وتعطشهم لدم الأبرياء.

وما معنى تجويع أمريكا للمدنيين الأفغان!! وتطلب من باكستان منع مساعداتها الغذائية عن دولة صغيرة وفقيرة جدا مثل أفغانستان. لا لسبب، إلا لكون نظام طالبان يحكم البلد: (يعني أن عددا غير معلوم من الأفغان الجياع سيقاؤون حتفهم، هل هؤلاء من الطالبان؟) (ص 48). والغريب، أن العالم يعيش صمتا رهيبا أمام كل ذلك؟؟؟

تلك البوصلة التي تفصل بين النضال المشروع والتاريخي للحركات الوطنية والإرهاب الأعمى. لم يكن هناك إذن من داع موضوعي وعقلاني، لهذا «التجسس» من قبل وسائل الإعلام خاصة الرسمية منها وكذا بعض المثقفين. حتى وإن قامت بعض الأصوات، تدعو للتريث من أجل: (القبض على المجرمين ومعاقبتهم. إذا كان بإمكان العثور عليهم) (ص 22). إن الهجوم على مركز التجارة العالمي، لا يدخل في إطار رفض قيم العولمة وتبعاتها الاجتماعية والسياسية وكذا الثقافية. دليل تشومسكي Chomsky في ذلك، قصف هذا المركز نفسه سنة 1993، أو اغتيال السادات مع بداية التسعينيات، وكذا قتل الأفغان الروس في أفغانستان أو الشيشان... أحداث لا ترتبط بتأكيد بالإفراق القيمي والمفهومي لما اصطاح عليه أخيرا بالعولمة. وحده منطق القوة الذي يحكم التوجهات الخارجية الأمريكية، يمكنه تفسير ذلك.

جاء في جريدة «نيويورك تايمز» أربعة أيام بعد وقوع الأحداث ما يلي: (لقد تصرفت الجموع من الدفاع البغض للقيم التي يعشقها الغرب مثل الحرية والتسامح والازدهار والتعددية الدينية والافتراق العرقي) (ص 23). وفي حقيقة الأمر، (تصرفات الولايات المتحدة الأمريكية نابية وفي غير موضعها. بل إنها لا تستحق الذكر) (ص 23)، يعلق تشومسكي Chomsky.

من جهتهم، فإن أنصار شبكة ابن لادن لا يؤمنون إلا بشيء واحد. أي ما يعتبرونه حربا مقدسة وجهادا ضد أنظمة الفساد. وبالتالي فإن إدخال العولمة ونتائجها في سياق كهذا، يبدو غير ذي موضوع. بل (من الممكن أن ابن لادن نفسه لم يسمع مطلقا بـ«العولمة»... والذين حاوروه، مثل روبرت فيسك R. Fisk يقولون إنه إجمالا لا يعرف كثيرا عن العالم، ولا يهمن أن يعرف) (ص 24).

تعيب عن الشعب الأمريكي حقائق كثيرة، ولذلك قد لا يدرك بسهولة تناقض السياسة الأمريكية تجاه العراق والاحتلال العسكري الإسرائيلي من جهة ثانية، قد يعرف بأن حكومته قد قوت ودعمت نظام صدام حسين على حساب المجتمع المدني. وقد يتذكر هذا النظام في أعنى لحظاته مثل تقتيل الأكراد بالأسلحة الكيماوية سنة 1988. في حين لا تمثل خبايا العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ومخططاتها في المنطقة.

وللاشارة، فإن برامج السياسة الخارجية الأمريكية -مسألة قد تبدو مسلمة عند الجميع- تخضع لمجموع من مراكز «القوة المحلية»، إضافة إلى تأثيرات «التيارات الشعبية»، وبخصوص الشرق الأوسط، فإن الحكومة الأمريكية تصغي في جهة لأجهزة مخابراتها وكذا المتخصصين بقضايا المنطقة.

دولة ارهابية رائدة

نحننا تشومسكي Chomsky أن نتذكر باستمرار كون الولايات المتحدة الأمريكية «دولة ارهابية رائدة، متسائلا عن طبيعة التحالف فيما يسمى بالحرب على الإرهاب بينها وبين دول مثل : روسيا، الصين، اندونيسيا، مصر أو الجزائر: «الذين يفرحون برؤية نظام دولي يتطور وتتعهده الولايات المتحدة والذي يسمح لكل منهم أن ينجز صفحاته الإرهابية الخاصة» (ص 32). روسيا مع الشيشانين والصين في صراعها مع القوى الانفصالية الموجودة بقاطعاتها الغربية ثم الحكومة المصرية وكذا الجزائرية مع الجماعات الدينية.

هذا التحالف الذي تقوده أمريكا، يعتبره تشومسكي Chomsky تحالفا مغلقا، له مقاييسه الموضوعية، وبالتالي لا يمكن لأي أحد الدخول إلى هذا التحالف بسهولة، أو يتم القبول «بأن كان» السياسيون الأمريكيون لا يغبشرون قط. وبرز مثال على ما نقول، تشكيكهم المستمر في نوابي السياسيين الساندينيين بنيكارغوا على الرغم من الإعلان عن تركهم البرامج الاشتراكية وبالتالي معاداة أمريكا.

لذلك لا يمكن تصور اعتماد الأمريكيين على الساندينيين لأن الإدارة الأمريكية تظل شكوكها دائما قائمة حول نواياهم حتى ولو تخلوا عن برنامجهم اليساري.

لقد استغرب الصحفي، وهو يسمح بالتأكيد الصريح بأن أمريكا «دولية ارهابية رائدة»، في المقابل، أورد تشومسكي Chomsky، أمثلة بهذا الخصوص حتى يؤكد أطروحة: هناك إبانة رسمية من محكمة العدل الدولية

لأمريكا بسبب إرهابها الدولي.

- * أمريكا هي الدولة الوحيدة التي رفضت قرار مجلس الأمن الذي يدعو فيه للتشيت والتمسك بالقانون الدولي.

- * دعمت إدارة الرئيس كلينتون دولة تركيا في سحق الأكراد (بتقديم 80 % من الأسلحة التي نمت الفطاعين وصعدتها. وهذا الأمر كان في الحقيقة وحشية جماعية، واحدة من أسوأ حملات التطهير والإبادة العرقيين في التسعينات) (ص 36-37).

- * قتل أمريكا للمليون من المدنيين العراقيين، نصفهم من الأطفال.
- * دعم أمريكا المستمر لبرامج إسرائيل.
- * تدمير أمريكا لمصنع الشفاء للادوية في السودان.

- * دعم أمريكا لإسرائيل في غزوها للبنان سنة 1982، حيث قتل أكثر من 18000 مدني من اللبنانيين والفلسطينيين. ثم ما تلا ذلك من غزوات أخرى...
- * الحوادث الإرهابية التفجيري الذي قامت به أمريكا داخل بيروت في ظل إدارة ريفان عام 1985، والذي حصد: (ثمانين قتيلا ومئتين وخمسين جريحا معظمهم مسن النساء والأطفال) (ص 36) ... إلخ.

ثم يتساءل شومسكي : Chomsky (لو كانت أمريكا أو إسرائيل أو إكتلرتا هذا مثل هذه الفظائع، فكيف ستكون ردة الفعل؟ هل نقول في هذه الحالة: (آه إنه لأمر سيء للغاية وغلظة بسيطة. لنعبر إلى الفصل التالي و دع الضحايا تتعفن؟ إن الشعوب الأخرى في العالم لن تتصرف على هذا النحو. عندما

بالقانون الدولي مستندة على حق الفيتو. كذلك: «عندما فجر الجيش الجمهوري الإيرلندي (IRA) القنابل في لندن، لم تنطلق الدعوة إلى قصف بلغاست الغربية أو بوسطن، منعت الكثير من الدعم المالي للجيش الإيرلندي، بل اتخذت الخطوات اللازمة لاعتقال المجرمين كما بذلت الجهود للكشف عما يكمن وراء الإرهاب» (ص 17). لكن في موقع آخر وبمنطق مغشأير، حينما: (تفجر البناء الفيدرالي في مدينة أوكلاهوما، وقعت المندحة الأمريكية، وتحول مع مرور الزمان إلى دركي للثقافة الأمريكية نفسها، تقوم على أسس نظرية دينية خاصة على مستوى الثقافة الشعبية، فهي من بين الأكثر تطرفا في العالم، إضافة إلى أن بلدا كالسعودية والحكوم إيديولوجيا بأصولية متطرقة، ظل دائما أكثر الحلفاء السياسيين ولاء للولايات المتحدة الأمريكية. وتحول مع مرور الزمان إلى دركي للمنظمة من أجل تمرير المخططات الأمريكية لتطهيرها. (إن النظرين الإسلاميين، الذين يعتبرون غالبا «أصوليين» كانوا من الفضلن لدى أمريكا في الثمانينات من القرن العشرين لأنهم كانوا من أفضل القلة الممكن أن «تجندهم» (ص 15).

أشياء وأخرى كثيرة، وضحاها موزخ نيكاراغوا الطليعي توماس وولكر Walker، حرب، يضيف تشومسكي Chomsky. كانت أقطع وأعنف بكثير من هجومات نيويورك. وقد توجهت نيكاراغوا إلى المحكمة الدولية حتى توقف أمريكا عدوانها، وتحصل على تعويض مالي نتيجة الخسائر الكثيرة التي لحقت بها. لكن أمريكا، ظلت تستخف

بالنسبة لتأثير 11 ايلول (سبتمبر) على الوضع السياسي بالشرق الأوسط، وبالأخص صراع الفلسطينيين ضد الاحتلال الإسرائيلي، فإن الأمر انعكس بالتأكيد سلبا، يتصور تشومسكي Chomsky: (أن إسرائيل تشللت علنا وتنهزت Chomsky الفرصة السانحة التي قدمت لها لتسحق الفلسطينيين وتضمن سوء العاقبة. لقد دخلت الدبابات الإسرائيلية، في الأيام القليلة التي أعقبت

تتكون من رؤية ثروات المنطقة تتدفق إلى الغرب وإلى أقلية محلية يحتضنها الغرب، من الحكام الظالمين والفاستدين». (ص 7).

إن الهجوم على أمريكا، كان من تدبير عناصر خارجية، وبالتالي ينبغي تشومسكي Chomsky هنا تواطؤ المخابرات المركزية الأمريكية CIA. كما أشارت إلى ذلك بعض التحاليل والكتابات. لكن مع ذلك، فإن مساهمتها قائمة بشكل غير مباشر، حيث عملت مع المخابرات الباكستانية والسعودية، وكذا البريطانية في تجنيد وتسليح الأصوليين المتطرفين وتعبئتهم ضد القوات الروسية في أفغانستان. وبعد انتهاء الحرب، توجه هؤلاء إلى أماكن مثل البوسنة والشيشان، وثلثوا مزيدا من الدعم الأمريكي.

بعد أحداث 11 ايلول (سبتمبر)، واشتعال الهستيريا الأمريكية، تم ألا توظيف عبارة «حرب صليبية»، لكن تبين للإدارة الأمريكية حسب تشومسكي Chomsky. بأن تسمية كذلك يمكن أن تضعف تحالفها داخل المختطات الإسلامي، لتستعمل بعد ذلك كلمة «حرب».

توظف أمريكا إذن، انطلاقا من منظور ديماجوجي تكتيكي العجم الذي تحمته طبيعة الظرفية ونوعية الموقف. لقد تعنوا أحداث الخليج العربي (1991) بـ «حرب»، أما اصطلاحهم مع الصرب فقد سموه «تدخلنا إنسانيا»: (هل كان التدخل في كوسوفو إنسانيا، حقيقة؟ ؛ من الممكن. إنها المرة الأولى التي يحصل فيها مثل هذا الأمر في التاريخ وقد أصبح أمرا واقعا محتوما (...) إن اللفظ المناسب هو «جريمة»، أو لعله «جريمة ضد الإنسانية» (ص 9).

بالنسبة لتأثير 11 ايلول (سبتمبر) على الوضع السياسي بالشرق الأوسط، وبالأخص صراع الفلسطينيين ضد الاحتلال الإسرائيلي، فإن الأمر انعكس بالتأكيد سلبا، يتصور تشومسكي Chomsky: (أن إسرائيل تشللت علنا وتنهزت Chomsky الفرصة السانحة التي قدمت لها لتسحق الفلسطينيين وتضمن سوء العاقبة. لقد دخلت الدبابات الإسرائيلية، في الأيام القليلة التي أعقبت



الرئيس الفنزويلي هوغو شافيز يحمل احد كتب المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي وذلك اثناء حديثه عن ارهاب أمريكا في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة

* كاتب من المغرب